خيالٌ عابر

ياسين البكالي

رُدّي فـؤادي بـالـسـلامِ عليّـا
وقِـفـي قـلـيـلاً كـي أعـــودَ إلـيّـا
مَلحُوظةٌ أُخْرى دعي في مِعْصَمِي
كَـفّـيـكِ كـي نمضي إلـيـكِ سَـوِيّـا
النشوةُ الفُصْحَى ستَسْري مِنْ دمَي
لحـروفِ ثَـغْـرِكِ إن تـقـولـي هيّـا
هُـزّي بِـجـذعِ الأمـنـيـاتِ فَـرُبّمـا
بِـكِ ينجَلي هـذا الـتّـشـاؤمُ فِيّـا
ولَـربّمـا مِـن مقلتيكِ سأستَقي
لُـغَـتـي الـتـي بـرمُـوشِـهـا أتَـفَـيّـا

اللغة من الجمود إلى التطوير

■ *لا نجافي الحقيقة إن قلنا: إن اللغة كائن اجتماعي يتطور كما يتطور المجتمع، أو هي ظاهرة معرفية يحق للجميع اكتسابها والتحدث بها، بل هي سلاح فعال في مواجهة الآخر، مكتوبة ومنطوقة، وهي ملكة تكتسب بالتقليد والتكرار، أو الاستعمال المستمر، وكأي ظاهرة أخرى، تتعرض اللغة لفقدان التوازن أو الضعف، والمشكلة هنا، ليس فيها، بل فيمن يستخدمها، فهي قادرة على الحفاظ على كيان الأمة وهويتها، إن هي حافظت عليها، وسوف تخسر الأمة الكثير من قيمتها، وربما تعرضت هويتها للانحلال والاندثار، إن تعرضت لغتها للمحو، وهذا ما حصل للكثير من الدول، عندما حلت لغة المستعمر محلها، في الوقت الذي حافظت أمتنا على لغتها فحمت هويتها، على الرغم من محاولات المستعمر الدؤوبة محوها ومحاربتها، وعلى الرغم من الجمود الذي أصابها قروناً طويلة.*

سمير حماد

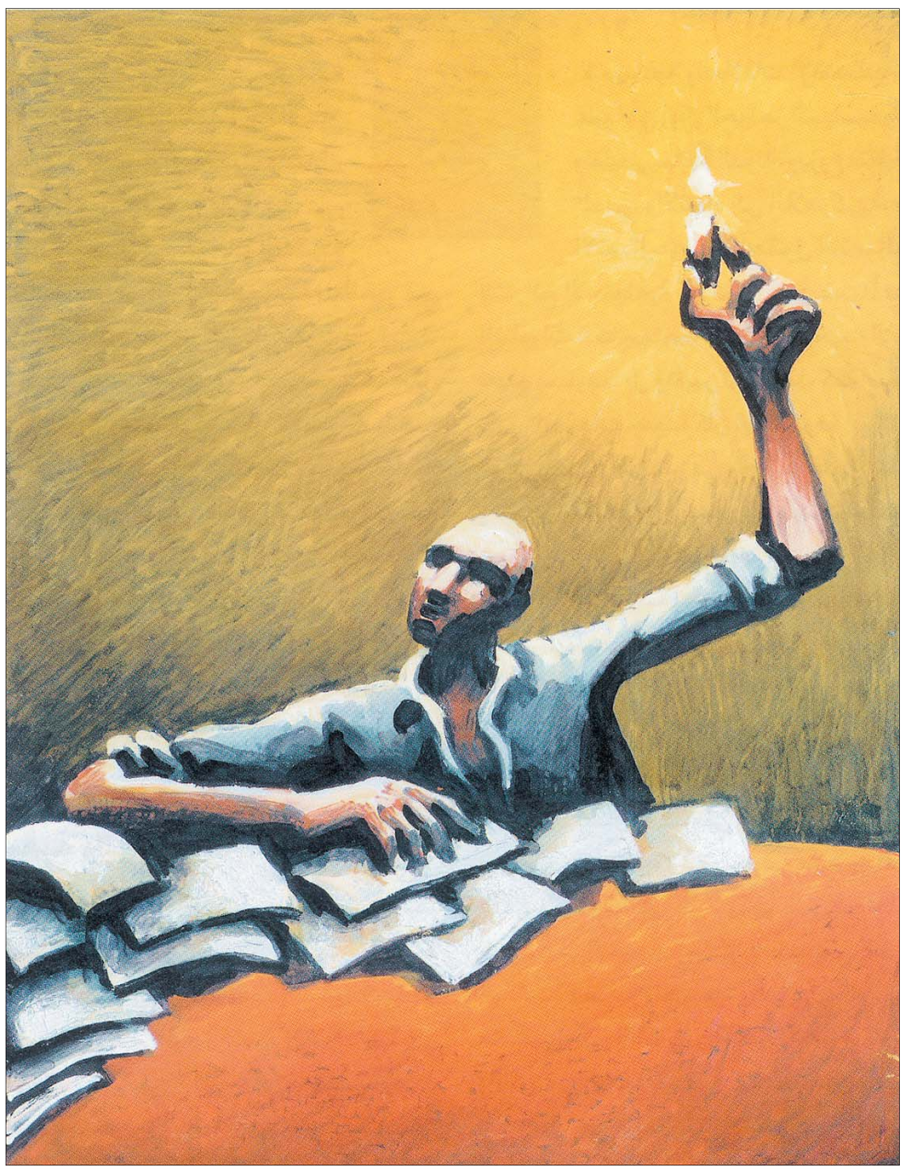

وأمام موجة موت اللغات واندثارها في هذا العصر، فقد حتّم هذا الجمود الذي حل باللغة، على أبناء الأمة وعلمائها أن يبدؤوا مسيرة التحديث والتطوير لها، للمحافظة عليها، ولردم الهوة بين اللغة الفصحى ذات البنية الكلاسيكية والعامية التي تلقي بظلالها على المجتمع، وتزداد اتساعاً وخطورة كلما استمر تجاهلها.

والحفاظ على اللغة الفصحى، لا يمكن أن يتم، إلا بتطويرها، وهذا يحتاج إلى حوار وجدل حول إشكاليات التطوير بين المختصين من أبنائها وسدنتها الذين يحرصون على نقائها واستمراريتها، حتى لا نقع في غرام المتفوق، وينعكس هذا على اللغة كما يقول ابن خلدون.

وسؤالنا لسدنة لغتنا العربية: لماذا لا نطور لغتنا بدءاً بالتراث؟ وهل يمكن كتابة بعضه بلغة معاصرة؟ لماذا لا نعيد كتابة رسالة الغفران مثلاً بلغة معاصرة فتستفيد منها الأجيال؟ بدل أن تبقى قراءتها مقتصرة على قلة قليلة من المختصين، ألسنا في حاجة إلى فكرها وحكمتها في هذا العصر؟ ألم يستخدم غيرنا هذه الطريقة، كالإنكليز مع شكسبير مثلاً، فأحيوه بلغة إنكليزية معاصرة؟

عند هذا ستقوى لغتنا، وتتطور من خلال تخليصها من التعقيد وتخفيف الترف الفكري واللغوي الذي لا يلائم العصر، وربما تضيق الهوّة بين اللغة التراثية والمعاصرة.

ولا أقصد بهذا خلق قطيعة مع التراث، أو التقليل من قيمته، بل التخفيف من حدة الاغتراب اللغوي عبر التطوير التقني للغة، أي تقديم المفردة الملائمة والتركيب المناسب للمتعلم والعصر، وفي هذا إنقاذ للغة، وإعادة توازن إليها، وربما من خلالها، نستطيع الوقوف على مسرح العولمة عندما تتحول لغتنا إلى لغة علم وإبداع وترجمة، وتصبح جزءاً من ثقافة العولمة، أو نداً للغة المهيمنة على ثقافة العالم.

ونحن نعلم أن من ينبري للتطوير، سيواجه مشاكل عدة نذكر منها: مشكلة الضعف العام في اللغة العربية، وله أسبابه التي يكمن معظمها في صعوبة المفردات القديمة، والنحو، والصرف، وتقديم أشياء لا يفهمها المتعلم، من لغة تراثية، وتعقيدات نحوية، إضافة إلى مشكلة انتشار العامية حيث أن اللغة المستخدمة في النطق، هي غير المستخدمة في الكتابة، والفروق والشروخ بينهما تزداد اتساعاً، وصولاً إلى سوء التعليم عامة، وهذا ما جعل المستوى الثقافي والعلمي واللغوي ضعيفاً، ومشكلة المشاكل فقدان المعجم التعليمي الحقيقي والواقعي الذي يسعف المتعلم في كل مرحلة من مراحل التعليم أو مهنة أو حرفة يختص بها، وهذا يساعد في الخروج من المأزق اللغوي بيسر وسهولة.

وإذا كان النحو هو العمود الفقري للغة، أو الهيكل العظمي لها، فلا يجوز أن يحل جزء منه محل الآخر، ولا يجوز المس بهذا الهيكل باسم التطور، بل نقول: إن اللغة يسر لا عسر، والنحو ليس اللغة بل هو نظام تمشي عليه، حرصاً على سلامتها وحفاظاً على أصولها، لكنه تحول إلى نظام صارم، وعلم صعب، بتفصيلاته المملّة، وشكلياته التي لا تفيد المتعلم أو المعنى، وأنا أستغرب كيف لم يبذل العلماء المعاصرون، أي جهد لتطويره، بغية تسهيل تعليمة للمتعلمين، مع أن القدماء أفاضوا في الجواز وقوانينه حتى بات أضعاف الوجوب، ولكن هذا لا يكفي، وإذا كان الإعراب خدم المعنى أي يكشفه فالذي حصل هو العكس تماماً في التعليم.

إن التخلص من الشكليات والتفاصيل النحوية لا يضر بالمعنى وهو أمر هام جداً، والأكثر أهمية هو تعليم النحو من خلال النصوص، بعيداً عن الخلافات والإشكالات، وبعيداً عن التقعر في اللغة وشواهد النحو، كما أن حرص المنهج على التذوق الأدبي، وإدراك جمالية الأسلوب، يسلم المتعلم مفاتيح النص واللغة، فتعليم اللغة، يعتمد: القراءة والكتابة والاستماع والحديث بالفصحى، وتعتمد هذه المهارات في تعلمها على التركيز في استخدام اللغة، والتعود عليها، عبر قراءة الإبداع، والانتقال إلى الإنتاج في اللغة ذاتها، لأن التعليم ليس بالتلقي فقط.

إننا بحاجة إلى ثورة فكرية، لتطوير اللغة، ورصد ميزانية كبيرة للحفاظ عليها وعلى أناقتها في مجال النطق والقواعد، وحسن التعبير والبلاغة، لمواجهة بوادر التدهور والانطلاق على درب التطوير.

إصدارات ثقافية

«من نحن؟» كتاب جديد عن ألمانيا ومسلميها

● أصدرت دار كلمات عربية بالتعاون مع معهد جوته، ترجمة لكتاب «من نحن ألمانيا ومسلموها» للكاتب الإيرانى «نافيد كرمانى» وترجمة صلاح هلال.

يتناول الكتاب الأحكام المسبقة ضد الإسلام عند السياسيين الألمان، والتى برزت بوضوح فى قضية سجين جوانتانامو «مراد كورناتس»، ويشرح الكتاب كيف ولماذا يتولد عند المسلمين الأتراك الإحساس بالكراهية، انطلاقاً من الإقصاء الاجتماعى والاقتصادى الذى يعيشونه؟

ويطرح المؤلف تساؤلاً عما إذا كان الإسلام قابلاً للاندماج، ويرد بأن ذلك يتعلق بنوعية الإسلام الذى يقصده المرء.

ولا يسعى المؤلف لتأجيج الصراع حول الإسلام، بل إلى تشجيع الحوار البناء، ويقول المؤلف فى فصل بعنوان « القرآن والعنف»، أنه لا يمكن الاستشهاد بآيات القرآن الكريم فيما يشبه لعبة تنس الطاولة، مدللاً على استخدام بعض الخبراء فى الإسلام لآيات القرآن الكريم، للتدليل على أن القرآن عنيف، ويحرض على العنف، يقول كرمانى: استخدام القرآن وكأنه محجر نقتطع منه فى كل وقت ما يناسبنا، يتعارض مع تركيبته اللغوية والبنائية، ويتعارض مع أهم تقاليد التفسير فى الإسلام.

ويؤكد كرمانى فى هذا الفصل من الكتاب على أنه لا يوجد تفسير وحيد للقرآن، وأن مثل هذا التفسير غير موجود أساسا، مشيراً إلى أن المجتمعات الإسلامية مختلفة بين القاهرة وطهران واسطنبول، ويشير كرمانى إلى أن الناس تفهم الإسلام بشكل أكثر تكاملاً عما هو عليه الحال فى الحوار الألمانى مع الإسلام.

نافيد كرمانى يقيم حالياً فى كولونيا، حيث يزاول مهنته ككاتب حر وباحث وأستاذ فى الدراسات الاستشراقية، وكان عضواً لفترة طويلة فى المعهد العالى للعلوم فى برلين، وحصل على جوائز عن مؤلفاته الأكاديمية والأدبية، وهو عضو الأكاديمية الألمانية للغة والشعر، وعضو المؤتمر الإسلامى فى ألمانيا.

إفريقيا الصاعدة

● يقدّم الباحث ستيفن رادليت كتابا بعنوان (إفريقيا الصاعدة) حيث يدرس فيه بوادر النهوض الاقتصادي في ١٧ بلداً إفريقياً كانت قد عرفت تبدلات جوهرية منذ أواسط عقد التسعينات الماضي.

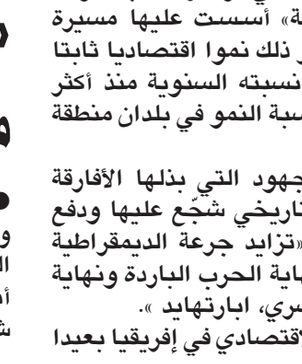

البلدان المعنية هي بالتحديد بتسوانا وبوركينا فاسو والرأس الأخضر وأثيوبيا وغانا وليزوتو ومالي وموزمبيق وناميبيا ورواندة وساوتومي وجزر السيشل وجمهورية جنوب إفريقيا وتنزانيا واوغندة وزامبيا.

وفي مواجهة التوصيف السائد عامة حول القارة الإفريقية باعتبارها المنطقة الأكثر هامشية، كما يتم توصيفها في إطار العولمة، يشرح المؤلف حركة النهوض التي عرفتها بلدان إفريقية عديدة. ويشرح أنه منذ عام ١٩٩٥ أظهر ١٧ بلدا إفريقيا خطأ النبوءات المفرطة في تشاؤمها حيال القارة الإفريقية.

ذلك أن البلدان المعنية شهدت على عكس تلك التوقعات نهوضا حقيقيا، لكن لم يتنبّه له سوى (القلّة).

لا يتردد المؤلف في القول أن هذه البلدان سلكت نهجا جديدا ابتعد كثيرا عمّا كان سائدا في عموم بلدان القارة الإفريقية تقريبا. إنها نبذت الحرب بكل أشكالها والجمود، الذي ساد لعقود طويلة بعد نهاية الاستعمار. ودكتاتوريات الماضي. وشرعت بخطوات «صغيرة» و«ثابتة» أسست عليها مسيرة نهضتها محققة عبر ذلك نموا اقتصاديا ثابتا ومستداما تتجاوز نسبته السنوية منذ أكثر من عقد من الزمن نسبة النمو في بلدان منطقة «اليورو».

يؤكد المؤلف أن الجهود التي بذلها الأفارقة تواكبت مع سياق تاريخي شجّع عليها ودفع باتجاهها .ذلك أن «تزايد جرعة الديمقراطية لم تكن بعيدة عن نهاية الحرب الباردة ونهاية نظام التمييز العنصري، ابارتهايد ».

ولم يكن النهوض الاقتصادي في إفريقيا بعيدا عن واقع «العلاقات البنّاءة والإيجابية مع المجموعة الدولية» وعن «بروز التكنولوجيات الجديدة، وخاصة تكنولوجيات المعلوماتية وعلى رأسها شبكة الانترنت والهاتف النقال».

لكن الصورة المتفائلة التي يرسمها المؤلف لإفريقيا «الصاعدة» لا تدفعه للتغاضي عن واقع أن محصلة العقدين المنصرمين من «التحوّل الديمقراطي» في إفريقيا قد تبدو مخيّبة للآمال في بعض وجوهها . ويشرح المؤلف أنه رغم جميع إستراتيجيات الخروج من النهج الاقتصادي الذي كان سائدا في الحقبة الاستعمارية فإن الاقتصاد الإفريقي لا يزال يحافظ «عامة» على البنى الموروثة من تلك الحقبة.

يركز المؤلف على ضرورة المضي أبعد في طريق التقدّم الاجتماعي وتطوير مؤسسات المجتمع المدني وتعميق المسارات السياسية التي لا تزال في «خطواتها الأولى». كما يتم التأكيد على ضرورة تعميق المؤسسات في مجالي القضاء والأمن.

ذلك أن وجود محاكم تستحق الثقة وتتمتع باستقلال فعلي لا تزال هي «الاستثناء» في القارّة الإفريقية علما بأنها تمثل «ضمانا» لا بد منه لحماية المواطنين ضد كل أشكال التعسّف.

وبالإجمال ينبغي القيام بـ«نسج علاقات جديدة بين عامّة المواطنين والسلطات السياسية » في البلدان الإفريقية في ظل «المساواة بين الجميع أمام القانون». ولقد حان الوقت الذي يأخذ الإفريقيون بيدهم قدرهم فمستقبلهم لن يبنيه أحد غيرهم.

الكتاب : إفريقيا الصاعدة
تأليف: ستيفن رادليت
الناشر: مركز التنمية الشاملة ٢٠١٠
الصفحات: ١٦٩ صفحة
القطع : المتوسط

‹شعر ثقيف› يجمع ما تناثر من أشعار القبائل العربية

● دار الكتب الوطنية في هيئة أبوظبي للثقافة والتراث تصدر كتاب ‹شعر ثقيف حتى نهاية العصر الأموي› لإسلام عمارة.

أبوظبي . لم يحظ شعر ثقيف بجمع أو دراسة شاملة من الباحثين والدارسين، فأبيات الشعراء الثقفيين متناثرة متفرقة، ومقطعاتهم مبعثرة لم تنل حظها أو حقها من الجمع الشامل، ومن البحث الجامعي الجاد.

وقد عني الباحث إسلام ماهر فرج عمارة بجمع هذا الشعر وتحقيقه وصدر في كتاب يحمل عنوان «شعر ثقيف حتى نهاية العصر الأموي» عن دار الكتب الوطنية في هيئة أبوظبي للثقافة والتراث.

ومن بين الشعراء الثقفيين المخضرمين الذين تناولهم البحث «عثمان بي أبي العاص»، «الحارث بن كلدة الثقفي»، عمرو بن شبيل الثقفي»، إلى جانب «ربيعة بن سفيان المحبر الثقفي» ومسعود بن متعب بن مالك الثقفي»، من بين الشعراء الثقفيين الجاهليين، و«أزدة بنت الحارث بن كلدة الثقفية» و«الفريعة بنت همام المتمنية» و«مسلم بن عبدالله الأجرد الثقفي» من بين الثقفيين الإسلاميين.

ويجمع البحث في صفحاته ما تناثر من أشعار القبائل العربية وتحقيقها ودراستها والقيام عليها، وهو من أهم ما ينبغي أن يعنى به دارس الأدب العربي القديم، ذلك أن الشعر يعد رافداً أصيلاً من روافد تراثنا الثقافي والوجداني، وفي بعثه استجلاء لآفاق الوجدان والفكر والحضارة في تاريخ الأمة، ثم إنه يعطي صورة واضحة المعالم عن حياة العرب وما وصلوا إليه في شتى نواحي حياتهم، فيصل الباحث من خلال ذلك إلى معرفة حقيقية يفقه بها أدب تلك الحقبة فقهاً شاملاً، قائماً على أسس علمية صحيحة، ومنهج أدبي قويم، يجنبه الزلل، ويقيه عثرات الطريق، فلا تزل به قدمه، أو يهوي به هواه، فيقضي بأحكام عامة على الشعر القديم قبل جمعه وتحقيقه.

وينقسم البحث إلى قسمين «الدراسة والديوان»، وتتألف الدراسة من مقدمة وتمهيد و٤ فصول، وخاتمة، تناول الفصل الأول قبيلة ثقيف من حيث موقع الطائف، وموطن ثقيف وتحديد المعنى اللغوي لاسم ثقيف، ونسب القبيلة، وبطونها، وسبب تضارب الآراء في نسبها، ثم تناول البحث أيام ثقيف وحروبها وحيواتها الاقتصادية والاجتماعية والدينية، وموقف ثقيف من الإسلام قبل الهجرة وبعدها، ثم دورهم في معركة حنين، وما إلى ذلك من حصار الطائف، واعتناق ثقيف الإسلام، ومعاهدة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لهم، ثم تتبع البحث الثقفيين في عصر الراشدين بتحديد موقفهم، من «الخلافة، وحركة الردة، وحركة الفتوحات الإسلامية وإدارة الأمصار.

ومن ثم انتقل الباحث في بحثه إلى متابعة الثقفيين في العصر الأموي، وجهودهم السياسية في قيام الخلافة الأموية، وعلاقة الثقفيين بالأمويين، وموقفهم من المحن التي عصفت بالخلافة الأموية، وموقفهم من ثورات رجال ثقفيين على خلافة الأمويين.

وقد خصص الفصل الثاني للحديث عن الشعر الثقفي، وبيئة الطائف، ومنزلة الشعر الثقفي عند القدماء، ومصادر أشعار الثقفيين وتدوينها من حيث روايتها، وفقدان ديوانهم، ومصادر شعرهم، ثم توثيق شعرهم، واضطراب نسبته.

وقسم الباحث الفصل الثالث إلى مبحثين للحديث عن الخصائص الفنية لشعر الثقفيين «مبحث للخصائص المعنوية»، وفيها ٦ مطالب وضوح معانيهم في شعرهم، والصور البيانية التشبيه والاستعارة، والكناية، ثم المحسنات البديعية ووظيفتها في شعرهم مثل الطباق والمقابلة والتكرار، ثم الأمثال ووظيفتها في شعرهم، ثم فسر الباحث مصادر معانيهم سواء أكانت المعاني التي أخذت عنهم أم تلك التي أخذوها عن الشعراء الآخرين، كما تطرق الباحث في هذا المبحث إلى أثر الدين الإسلامي والقرآن الكريم في شعرهم.

وتضمن المبحث الثاني «مبحث الخصائص اللفظية» ٤ مطالب هي منهجهم في بنية النصوص الشعرية، ورصد إيقاعات الموسيقى الداخلية والخارجية، واللغة وأبرز القضايا النحوية، وختم مبحثه الثاني بذكر مواطن احتجاج العلماء بالشعر الثقفي واستشهادهم به في التفسير القرآني والتأصيل اللغوي والتقعيد النحوي، والتذوق البلاغي.

ويخل هذا الفصل من المقارنة بين شعرهم وشعر بعض قبائل العرب، أو بعض الفئات من الشعراء عند الحاجة إلى ذلك، ومن التنبيه على أن هذه القضية أو تلك مما يشترك فيها شعراء العرب عامة.

أما القسم الثاني من البحث وتحت عنوان «الديوان» فقد ضمنه الباحث مجموع ما وقف عليه من أشعارهم منذ الجاهلية إلى آخر عصر بني أمية، وضمنه أشعار عدد من الشعراء الذين لم تسعف المصادر في تحديد عصورهم، خشية أن يكونوا أو يكون بعضهم ممن عاش في مدة ما بين الجاهلية وآخر عصر بني أمية، ريثما يظهر من الأدلة ما يحدد عصورهم